http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1986) السنة الثامنة - الأحد (12) كانون الاول 2010

لجان في مجلس محافظة بغداد شبه معطلة ولا تمتلك معلومات عن واجباتها

التربية والتعليم في المجلس: ليست لدينا إحصائية بعدد التلاميذ المتسربين من المدارس !

يحتل التعليم مكانة كبيرة في حضارة اي شعب، بل يكاد يكون العمود الفقري لنهوض اية امة ومقياس لرقي الشعوب، غير ان هذا القطاع عندنا واجه الامرين وبقي دون المستوى الذي يمكن الاعتماد عليه لتخريج كوادر يمكن ان ترتقي بالعراق الى مصاف دول الجوار ان لم نقل الدول المتقدمة.

بغداد / سـها الشيخلي

تصوير / ادهم يوسف

ومع وجود لجان عدة في مجلس محافظة بغداد منها ما يعنى بالطفولة والامية ومدى تفشيها في الوقت الحاضربنسب تثير اكثر من علامة استفهام لمعرفة اسبابها، الى جانب لجنة من اولى مهامها الحد من ظاهرة التسرب في المدارس، نقف مستغربين امام اهمال هذا الموضوع الحيوي حيث اننا وطيلة سنوات لم نتلق جوابا شافيا لاي سؤال عن عمل تلك اللجان العديدة. وكان من الاوفق والاجدى لرئيس مجلس محافظة بغداد ان يتابع و لجانه ذلك ويحثهم على بذل الجهود والبحث والتقصي عن السبل الكفيلة للارتقاء بمستوى عمل تلك اللجان، قبل ان يخرج علينا بفتاوى يراد منها خنق الحريات والعودة بالمجتمع الى ازمان سحيقة، في بغداد ويحاول ان يلتف على جوهر الموضوع بتصويره وكأنه يتعلق بغلق النوادي فحسب متناسياً ممارسات تتنافى والدستور انتشرت ليس في بغداد وحدها بل في محافظات اخرى ككربلاء مثلاً عندما منع المجلس في تلك المدينة المقدسة صاحبة العلم والمعرفة اقامة معرض للفن التشكيلي (معرض رسوم الكاريكتير) الذي تعد اللوحة منه بمثابة موضوع كامل تغني عن السرد الذي ربما يكون مملا، ولكن قصر نظر تلك الجماعة التي منعته واميتها قادها الى هذا القرار غير المنصف، لا اريد ان اشرح مهمة الفن الكريكاتيري هنا بل لاذكر المجلس بقصوره عن فهم اهداف هذا الفن، ولا اريد ان افصل اكثر بدور مثل هذه القرارات الفردية في الحاق الاذى بالعراق سواء من خلال تحجيم ومنع اللوحات الفنية التعبيرية التي كان من المؤمل ان تقدمها فرق فنية اجنبية تم استضافتها في مهرجان بابل، بابل الحضارة بما فيها من فنون واداب وعلوم، ولا عن منع عروض السيرك في محافظة البصرة مدينة الفراهيدي والجاحظ، وموطن السندباد في روائع حكايات الف ليلة وليلة التي سحرت العالم في مشارق الارض ومغاربها والتي لا يزال العالم يسالنا عنها كلما قصدنا وزرنا دولة اجنبية. فالموضوع لا يتحدد بغلق النوادي الاجتماعية في بغداد ومنها نادي اتحاد الادباء الاجتماعي والثقافي، بل بما يمكن ان تعنيه مثل هكذا قرارات غير مسؤولة وكل ما نخشاه ان تحدث مثل تلك الامور انشقاقا وشرخا في البيت العراقي الواحد الذي نتمنى ان ترفرف عليه رايات الوئام والمحبة.

لجنة التربية في المحافظة

نعود الى جوهر موضوعنا الرئيسي التسرب من المدرسة الذي بات ظاهرة ملفتة للنظر، حيث يؤكد المسؤولون في وزارة التربية ان وراء هذه الظاهرة الفقر والحالة الامنية المتردية، في حين يذهب البعض الاخر من المسؤولين الى ان المدارس تعاني من الزخم الحاصل فيها وخاصة المراحل الاولى من الدراسة حيث يصل عدد الطلاب الصغار في الصف الواحد مائة طالب. ومع ان التسرب من الدراسة قد يقود الى تواجد اطفال في الشوارع يعملون في الطرقات وتقاطعاتها ليمارسوا مهناً لاتتناسب واعمارهم و وتعرضهم الى مخاطر اجتماعية كثيرة من بينها التعرف الى اصدقاء السوء وتعاطي المخدرات والكبسلة وحبوب الهلوسة. ومع ذلك فانه وكما يبدو فان لجان التربية و الطفولة لم تضع في حسبانها اية برامج للحد من هذه الظاهرة و اكدت باسمة عبد الامير في حديث لها مع المدى ان ظاهرة التسرب من الدراسة الابتدائية تشمل اطراف بغداد وحددت ان المناطق الفقيرة هي اكثر المناطق التي تعاني من هذه الظاهرة فمثلا ان عدد المتسربين من المدارس في منطقة المعامل لوحدها يبلغ (٧٤٩) تلميذاً. ومع ان الرقم غير قليل في منطقة واحدة، الاانها اكدت عند اخبارنا لها بان ما لدينا من ارقام يشير الى ان نسبة التسرب من الدراسة تشكل ٢٧٪، ان الرقم مبالغ به وانها تظن ان الرقم لا يتعدى الـ٥٪ ونضع خطاً تحت كلمة (تظن) للدلالة على عدم وجود احصاءات دقيقة عن الموضوع، وعندما اخبرناها ان هذا الرقم قد ورد على لسان استاذ جامعي باحث في مجال الطفولة قالت ان الرقم مع ذلك غير صحيح. وعزت السيدة عبد الامير تفاقم هذه الظاهرة الى المشاكل الاجتماعية والعائلية، اما عن برامج اللجنة للحد من هذه الظاهرة فلم تذكر لنا شيئا عنها مما يعني عدم وجودها بالمرة؟!

وعن نسبة المتسربين من الدراسة الابتدائية اشارت الى ان اللجنة لا تمتلك الرقم الحقيقي لنسبة التسرب، مع العلم ان اللجنة قد شكلت منذ تاسيس مجلس محافظة بغداد، الا ان دورها كما هو شأن بقية اللجان الاخرى هامشي وغير واقعي بل العمل في اغلب اللجان انما ينحصر في الحضور و (اسقاط فرض) فقط، ومرة اخرى نقول الا يفترض برئيس مجلس المحافظة متابعة عمل اللجان العاملة في مجلسه؟ اما كان هذا اوفق وافضل من اثارة مشاكل لا قبل للمجتمع بهضمها لعسرتها!، دون ان نغفل ان هناك لجاناً اخرى عديدة قد استشرى الفساد فيها حتى وصلت رائحة السرقات الى درجة تزكم الانوف، فلجنة شبكة الحماية التي اوجدت في الاصل للنساء الارامل والمطلقات والعاطلين عن العمل والعاجزين صحيا تتقاسم مع تلك الشرائح الضعيفة قوت يومها رغم قلته، فاين هيئة النزاهة من لجنة شبكة الحماية الاجتماعية التابعة لمجلس محافظة بغداد والحقائق تؤكد وجود نهب وسرقة لقوت الفقراء؟

أطفال الشوارع

نعود الى تسرب التلاميذ من مدارسهم، الذي يجب ان يكون ظاهرة تؤرق المسؤولين عن بغداد واهل بغداد، ذلك ان هؤلاء الصغار ومن كلا الجنسين يشكلون ذخيرة المستقبل و رجال الغد وامل المجتمع، فاي امل يرتجى من اطفال مشردين لا تنظر اليهم حكومتهم نظرة جدية وتضع الحلول الناجعة لانتشالهم من واقع بائس. الغريب ان هناك في مجلس المحافظة لجنة خاصة بالمراة والطفولة، زرتها ذات يوم فوجدت السيدة التي ترأس تلك اللجنة لا تفقه من امر الطفولة شيئاً، وعندما اجريت الحديث معها وجدت ان اجندتها فيما يخص المراة والطفولة فقيرة الى درجة يرثى لها، ومع ان نسبة اعداد النساء الى الرجال في العراق تشكل ٦٤٪ ما يتوجب على رئيس مجلس المحافظة ان يولي للجنة المراة والطفولة اهتماما يليق بالمراة العراقية ودورها لا ان تتراس لجنتها امراة مع احترامنا لها لا تفقه من امور بنات جلدتها شيئا بالمرة. يبدو ان هذا لم يخطر ببال رئيس المجلس وربما ما زال يتصور ان مكان المرأة البيت وانها لاتعدو ان تكون تابعة للرجل في المجتمع لذا انصب جل اهتمامه بامور هي ليست من اختصاصه؟

تسرب التلاميذ

المؤلم ان الزائر لمدينة بغداد تاخذه الدهشة عن عدد المشردين والمتسولين في مدينة تغفو على بحيرة من النفط، فهم يتكاثرون في تقاطع الطرق و بنظرات منكسرة يطرقون زجاج النوافذ لسيارات المارة يطلبون الرحمة والشفقة والعون التي ربما تاتي وفي اكثر الاحيان لا تاتي. قبل ايام كان معي ضيف قادم من فرنسا، وهو فرنسي الجنسية ينظر الى نصب كهرمانة بكثير من الدهشة والاعجاب، سالني ان كان النحات لا يزال على قيد الحياة، وبينما انا اتحدث اليه بصعوبة باللغة الفرنسية التي كنت اخلطها بالانكليزية في اكثر الاحيان، قطع علينا لحظات التامل طفل صغير كان يطلب الصدقة، في الحقيقة شعرت بالاحراج في هذه اللحظة من ذلك الرجل عندما سالني ان كان ذلك الطفل مشرداً او يتيماً او مهجراً او قتل الارهاب والده، فأجبته ان كل هذه الامور التي ذكرتها يعاني منها هذا الفتى. اردت فقط ان اجد التبرير لطلب المساعدة من قبل ذلك الرجل، سالني الضيف ان كانت هناك ثمة حكومة محلية تاخذ بيد هؤلاء الفتيان، لم اشأ ان اقول لذلك الرجل ان هم مجلس المحافظة هو مصادرة الحريات وغلق النوادي دون ان تفكر بحل لاعالة هؤلاء الفتية، وان اصحاب تلك المحال سوف ينضمون الى جيوش العاطلين في المدينة التي كما قال عنها ضيفي الفرنسي انها تطفو على بحيرة من النفط.

قرب احد المساجد وفي يوم الجمعة وجدت اطفالا يقفون بذلة ومسكنة يطلبون الصدقات من المصلين، سالت احدهم لماذا لا يذهبون الى بيوتهم ويذاكرون دروسهم بدلا من التسول فقال لي احدهم انه وجميع الفتيان والصبية الذين يتزاحمون امام ذلك المسجد متسربون من المدرسة وانهم لا يجيدون القراءة والكتابة حيث تركوا المدارس منذ سنوات وانضموا الى جيش الامية، راعني ان تكون تلك الوجوه الحزينة تعاني الامية والفقر، فاين منهم رئيس مجلس المحافظة، الذي اتمنى ان يستقل سيارته ويقوم بجولة في المدينة مع حمايته ليجد ان اعداد المشردين والمتسولين في بغداد قد ازداد، وان عليه ان يضع الخطط للحد من انتشار الفقر والامية التي قال عنها مدير قسم الامية في وزارة التربية جمعة عطية ان نسبتها بلغت ١٧٪، فهل يعلم بذلك رئيس المجلس ام تراه لا يهتم بمتابعة مثل هذه الامور الخطرة، بل كل ما يريده ان يجعل من المجتمع وافراده ان يسيروا هلى هدي رؤاه وخططه.

على رصيف شارع باب المعظم من جهة متوسطة الغربية للبنين هناك عدد من السيدات يصرخهن مطالبات بالصدقة، سالت احداهن لماذا لا تعمل وهي تبدو بصحة جيدة فقالت انها لا تجيد شيئا ولا تعرف القراءة ولا الكتابة وان الارهاب قد فجر دارها في احدى المدن وبقيت لوحدها، سالتها ان كانت ترغب في مساعدة الحكومة فما عليها الا الذهاب الى مجلس المحافظة لتسجل اسمها في سجل خاص بشبكة الحماية الاجتماعية، قالت المراة ذهبت فقالوا لي علي ان ادفع رسوم بمبلغ ١٠ آلاف دينار وبما انني فقيرة لا املك ذلك المبلغ جلست على قارعة الطريق اطلب الاحسان والصدقة من المارة الخيرين.

ظاهرة التسول

وفي المكان ذاته وجدت طفلتين لا يتجاوز عمر اكبرهما التسع سنوات كانتا تتسولان وعندما سالتهما لماذا لا تذهبان الى المدرسة وتتلقيان العلم قالتا انهما تنحدران من عوائل فقيرة لا قبل لهما بمصروفات الدراسة، فهل تدرك لجنة المراة والطفولة التابعة لمجلس المحافظة ان هناك ظاهرة تسول للعديد من اطفال المدينة من تاركي المدارس ومن المحرومين من التمتع بأبسط حقوقهم، وهل فكرت مثل تلك اللجان بوضع برنامج لدراسة الحد من تسول الصغيرات ومن تسرب العديد مثل اعمارهن من الدراسة؟ سؤال واسئلة نضعها امام مجلس المحافظة بكل لجانه هل قاموا برصد تلك المناظر المخجلة، هل شاهدوا اطفالا يجمعون العلب الفارغة من اكوام النفايات؟ هل درسوا حالة الطفولة البائسة في بغداد والمحافظات.

اغلب الظن ان مثل تلك الامور بعيدة عن خطط واهتمامات المجلس، بل انصب اهتمامهم في عرقلة الحياة الاجتماعية وخنق الحريات والتضييق على المجتمع سواء كان رجلا او امراة، فالداخل الى مبنى المجلس ومع الاسف لايجد بارقة امل بامكانية ان ينهض بمهام جسيمة تحتاجها بغداد واهلها، كما يمكن ان يلاحظ الزائر او المراجع للمجلس ان اغلب النساء هناك مقهورات الى درجة ان الشرطية التي تقوم بمهمة تفتيش السيدات تمارسها بطريقة فضة خالية من الذوق والاحترام، وعند الاعتراض تقول احداهن ان ذلك من واجبهن للحفاظ على امن المبنى، وكأن المراجعات للمجلس قد ارتدين أحزمة ناسفة مع ان كل مظهرهن لا يشير الى ذلك.

ختاما نقول اذا كان رئيس مجلس المحافظة يريد اعادة المجتمع الى الوراء فعليه قبل ان يقوم بهذه الخطوة ان يتاكد من انه قد اوفى حق هذه المدينة التي يحمل المجلس اسمها، وانه قد ادى مهام عمله بشكل يرضي الله والضمير قبل ان يلتفت الى مهام اخرى هي ليست من اختصاصه، اما كونه يعمل بقانون دولة وحكومة تمت ازالتها منذ سنوات فالامر يدعو الى العجب، ومع كل ذلك فما علينا الا ان نتمنى ان يلتفت الى مهام اكثر ضرورة تستوجب تفعيل عمل لجانه التي اعطينا له صورة واضحة عنها وان يدعو الى اجتماع يناقش خلاله عملها، ونظن ان هذا اجدى من اشغال نفسه بقضايا لاتسمن ولا تغني من جوع كما يقول المثل. ونعتقد ان بغداد الحضارة تحتاج الكثير من الجهد والعمل من اجل نفض غبار الاهمال عنها ومداواة جراحها واشاعة الاجواء الثقافية اليها، فعاليات تعيد لبغداد وجهها.

ارامل ومطلقات لا يرغبن في مراجعة المجلس لسوء ما يلقين من معاملة